الأطفال المشردون من ضحايا إلى جناة

د. زروقي توفيق

جامعة العربي التبسي، تبسة

ملخص:

لقد احتل موضوع الطفولة مكانا بارزا في الفكر الإنساني، وهو في الوقت الراهن يسيل الكثير من حبر المهتمين باعتبارهم شريحة أساسية وركيزة تتولد عنها كل الأنظمة الاجتماعية، والقوى البشرية اللازمة لتحسين الأوضاع وصناعة المستقبل، وضمان البقاء عن طريق نقل التراث الاجتماعي عبر الأجيال، لأنهم يعدون موردا وطاقة بشرية تضمن التنمية في صورتها الشاملة وعلى مختلف الأصعدة.

حيث أثبتت الدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية بما لا يدع مجالا للشك أن شخصية الطفل تتكون خلال السنوات الأولى من العمر، ومع بداية دورة حياته نجد الأسرة ملزمة على تهيئة الظروف لتطبيع هذا الوافد الجديد، ولكن قد يواجه الآباء بعض الظروف التي تعيق أداءهم مختلف المهام والأدوار المنوطة بهم، أو قد يتعثرون في أداء أدوارهم أمام المتطلبات الكثيرة للأبناء مع قلة موردهم لتحقيق الإشباع هذا ما يدفع بالطفل مجبرا غير واع إلى النزول للشارع كبديل للأسرة باحثا فيه عن فرص أفضل لتحقيق الاكتفاء مما حرم منه داخلها، ويكبر أطفال الشوارع في دروبها وتكبر معهم طموحاتهم جنب لجنب مع مشكلاتهم ويتأرجحون في طريقهم للعيش بين ضحايا تارة وجناة تارة أخرى.

في هذا السياق نحاول من خلال هذا المقال معرفة ما لهذه الظاهرة من انعكاسات على الفرد والمجتمع في آن واحد، وما هي امتدادات ذلك إلى الذات وصورتها وكذا الأسرة والمجتمع ككل.

الكلمات المفتاحية: أطفال الشوارع، التشرد، الجريمة والانحراف، الأسرة، القانون، الوقاية الاجتماعية.

Résumé :

Le sujet de l’enfance a pris une place importante dans la pensée humaine, et il fait couler en ce moment beaucoup d’encre, car ils

constituent une tranche principale et un point d’appui quel découlent tous les systèmes sociaux, et les potentiels humaine nécessaires à l’amélioration des conditions présentes et la construction de l’avenir.

Ainsi que la préservation du patrimoine social à travers les générations, car ils constituent une énergie humaine qui assure le développement dans son global et sur tous les plans.

Les études psychologiques éducatives et sociales ont montré que la personnalité de l’enfant se construit durant les premiers années de la vie, et au début de sa vie, la famille se trouve obligée de prépare les conditions pour la socialisation de ce nouveau venu, mais parfois les parents rencontrent des difficultés lies à leurs conditions de vie matérielles ou autre, ce qui pousse l’enfant qui est contrait et inconscient à aller dans la rue qui sera un substitut à la famille cherchant ce qu’il n’y a pas trouvé, et les enfants des rues grandissent dans ses sentiers et leurs ambitions grandissent cote a cote avec leurs problèmes et il se balancent entre la vie de victimes parfois et de délinquants une autre fois.

Nous essayons à travers cet article de savoir quelle sont les répercussions de ce phénomène sur l’individu et la société, et ses extensions sur l’image de soi et celle de la famille.

Mots clé: Les enfants des rues, Les sans-abri, Crime et délinquance, Famille, Droit, Protection sociale.

مقدمه:

تسعى الدول والأمم من خلال أول لبنة في المجتمع ألا وهي الأسرة كمؤسسة اجتماعية إلى ضمان سيرورة المجتمعات والحفاظ على بقاءها من خلال ما تكرسه للطفل من جهود واهتمام إلى تحويله من مجرد كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، والحرص على تجاوز كل العوائق التي قد تحول دون تحقيق نمو متوازن له من خلال إشباع دوافعه البيولوجية والنفسية والاجتماعية على أن يتم ذلك بالطريقة التي يرضى عليها الجميع، حتى تصل به إلى تكوين شخصية تكفل له رضاه عن نفسه في النهاية.

وفي الوقت الذي يعيش فيه السواد الأعظم من الأطفال داخل أسرهم الطبيعية ينعمون بوافر من الاحتواء والرعاية، ويستمتعون بنصيب من الحق في التعليم يؤمن لهم مستقبلا محصنا من الآفات الاجتماعية التي تتمظهر في عدة صور يئن منها المجتمع منها؛ تعاطي المخدرات، السرقة، شبكات الدعارة، والانحرافات الجنسية وغيرها نجد كثيرا من الأطفال في سن التمدرس - وبالرغم من المجهودات الجبارة التي تبذلها الدولة لتعليمهم وهذا ما يعكسه التشييد المستمر للمدارس مع مجانية التعليم ناهيك عن المؤتمرات والندوات التي تقام بمختلف المؤسسات التربوية والتعليمية لتحسين حياة هؤلاء- يتوسدون الأرصفة ويتخذون من الشوارع ملاذا لهم، ويكشفون عن ظروف استثنائية يعيشونها داخل أسرهم تحجب عنهم الشعور بالأمن، والتفاؤل، وتسرق منهم إحساس السعادة والفرح، وتزج بهم إلى عالم مجهول يتحررون فيه من الروابط الأسرية مدفوعين بقسوة العمل، في مشهد يشوه النموذج الحضاري للمدينة هؤلاء هم أطفال الشوارع المشردون تحت طائلة عوامل مختلفة.

أولا- الجذور التاريخية لظاهرة أطفال الشوارع

تعد ظاهرة أطفال الشوارع ظاهرة عالمية ذات جذور تاريخية بعيدة، لها صلة بتطور المجتمع البشري وتناقضاته، وتشير بعض الدراسات إلى أنها قد عرفت تاريخيا بصيغ مختلفة، وفي ظل أوضاع عالمية مختلفة، وأخذت أشكالا ومظاهرا متعددة تماشيا مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة، حيث كان للظروف الحياتية والمعيشية دور في نشأة الظاهرة.

إن التطور الصناعي في أوروبا ونشوء الحروب والنزاعات المسلحة الداخلية، وبين الدول، وكذا قيام الحروب العالمية الأولى والثانية وكذا الهجرة غير الشرعية وظاهرة

الإرهاب كلها ظواهر ساعدت على انتشار ظاهرة التشرد (أطفال الشوارع) على مستوى العالم، وزيادة أعدادها وكان من نتائج هذه الظواهر:

- فقدان الأسر وتشرد الأطفال.
- انحراف الأحداث.
- ظهور الأطفال المهمشين.
- الإقصاء الاجتماعي
- تعرض الأطفال لعديد المخاطر كالإعاقة والاضطرابات النفسية: صدمات الحروب.

ويعد بعض الباحثين أن الخلفية التاريخية للظاهرة تعود إلى القرون الوسطى، ويذكر أن عصابات الأطفال كانت منتشرة في الريف في أرجاء أوروبا وروسيا في العصور الوسطى، وأن اليابان قد خبرتها في عصور مختلفة، وقد أفرزت الثورة الصناعية في أوروبا وفي أمريكا الشمالية في القرن التاسع عشر هذه الظاهرة إلى الحد الذي قبلت معه كجزء من الشكل العام للمناطق الحضرية. ومن الثابت أنها تحدث في أوقات الاضطرابات الاجتماعية والتحول السريع.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية كانوا يعتبرون وجود أطفال الشوارع أو كما يسمونهم الطبقة الجاهلة غير المنضبطة من الأطفال يهدد الممتلكات ومؤسسات الرأسماليين، ولذلك كانت هناك محاولة لإزالتهم جسديا في الفترة ما بين 1853 - 1890 م، وكانت إحدى هذه المحالات هي شحن 9000 طفل من أطفال الشوارع بالسكة الحديدية من المناطق الشمالية إلى الغرب الأوسط حيث كان يعتقد أن وجود هذه الطبقة الجاهلة من الأطفال إنما يهدد الممتلكات ومؤسسات الرأسماليين(ناصر علام، 2009، ص5).

1- تعريف أطفال الشوارع Street Children**:** قبل تحديد المقصود بالأطفال بلا مأوى Homeless Children أو كما يطلق عليهم سابقا أطفال الشوارع Street Children أود أن أشير أولا إلى أن هذا المفهوم قد أطلقت عليه العديد من التسميات المختلفة في بعض الدول، وإن كانت كلها متشابهة وتدور حول صفات أو خصائص الأطفال بلا مأوى.

ففي كولومبيا يطلقون عليهم اسم Gamines المتشردين، وفي السلفادور يطلقون عليهم Huelepegas بمعنى المنبوذين، وفي البرازيل يطلقون عليهم Tigueres الأطفال المهملين، وفي المكسيك يطلقون عليهم Pelones الأطفال المتخلى عنهم من قبل أسرهم، وفي الهند

يطلقون عليهم أحيانا البائعين المتجولين من غير رخصة، أو المتشردين، وأحيانا أخرى بالنهابين، وفي الزائير يطلقون عليهم العصافير، وفي الولايات المتحدة وكذا كندا يطلقون عليهم Street yooth or kids أطفال أو شباب بلا مأوى، أو Homeless Young الصغار بدون مأوى، وفي السودان يطلقون عليهم الشماسة بمعنى أبناء الشمس، وفي مصر يطلق على أطفال الشوارع تسميات متشابهة مثل أطفال بلا مأوى، والأطفال الهامشيين، والأحداث المعرضين للانحراف Juveniles وأطفال بلا أسر. ويطلق أطفال الشوارع على أنفسهم تسمية أطفال السوس، على اعتبار أنهم لا جدوى منهم ولا يريدهم أحد(أحمد محمد موسى، ص ص 11– 12).

وبالرجوع إلى تعريف أطفال الشوارع نجد أن هنري ماهيو Henry Mayhew 1851 أول من استخدم اصطلاح أطفال الشوارع، وجاء استعمال اللفظ عرضا في ثنايا كتاب ماهيو عن العمل والفقر في لندن للإشارة إلى سوء معاملة الأطفال العاملين في بعض القطاعات الصناعية، ولم يستخدم بعد هذا التاريخ إلا في عام 1979 من جانب هيئة الأمم المتحدة عندما أقرت عام الطفل.

هذا كما استخدم مصطلح أطفال الشوارع في الثمانينات من القرن العشرين بشكل متكرر للإشارة إلى الأطفال الذين يمضون وقتهم كله أو بعضه وسط الأزقة والساحات والنواصي وغيرها من الأماكن العامة في المدن، ويمارسون أنشطة متعددة تتسم بالهامشية والابتذال، وتتراوح أعمارهم عادة ما بين الخامسة، والثامنة عشر من العمر، وينتسبون عادة للشرائح الفقيرة، ومعظمهم من المهاجرين من المناطق الريفية(أحمد محمد موسى، ص ص11– 12).

ولقد عملت بعض المنظمات العالمية المهتمة والباحثين في المجال على وضع تعاريف تتناول هذه الشريحة من المجتمع بالتحديد والبيان نذكر منها تعريف منظمة الصحة العالمية وتعريف المجلس القومي للطفولة والأمومة. أما عن تعريف منظمة الصحة العالمية فهي ترى أن أطفال الشارع هم: كل طفل يقضي كل وقته أو معظمه بالشارع نتيجة ظروفه الغير مناسبة لحياته السوية مثل باقي الأطفال، وقدمت منظمة الصحة العالمية تصنيفا للأطفال بلا مأوى من حيث ارتباطهم، وانفصالهم عن الأسرة، حيث تم تعريف الأطفال بلا مأوى بأنهم

يقضون معظم وقتهم أو بعض أوقاتهم في الشارع أو كل أوقاتهم فيه، وقد يستمر، أو ينقطع ارتباطهم بالأسرة تماما(نصيف فهمي، 2009، ص11).

في حين يعرف المجلس القومي للطفولة والأمومة هذه الفئة من الأطفال بأنهم: ذلك الطفل الذي عجزت أسرته والمجتمع عن إشباع حاجاته الأساسية (جسمية، نفسية، ثقافية، صحية...) كنتاج لواقع اجتماعي واقتصادي تعايشه الأسرة في ظل ظروف اجتماعية أشمل تدفع بالطفل إلى الشارع كمأوى بديل معظم أو كل الوقت، بعيدا عن أي نوع من أنواع الرعاية والحماية، وذلك في محاولة لإشباع حاجاته من أجل البقاء، مما يعرضه للخطر والاستغلال والحرمان من الحصول على حقوقه الأساسية، وقد يتعرض للمساءلة القانونية(عبد المنعم الميلادي، 2010، ص20).

وحتى لا نسرف في إدراج التعاريف المتعلقة بأطفال الشوارع جدير بالذكر في هذا المقام أن أكثر النقاط التي تتفق عليها جل التعاريف التي راجعناها فيما يتعلق بتحديد المعنى منه وجدنا أن:

– هؤلاء الأطفال هم أطفال دون الثامنة عشر من العمر.

– هم أطفال قذفت بهم الظروف الأسرية على اختلاف أشكالها للهروب إلى الشارع، بحثا عن العمل أو بحثا عن الراحة التي لا يجدونها في بيوتهم.

– على اختلاف درجات الاتصال التي تربطهم بأسرهم فإن الشارع في النهاية هو نقطة اللقاء.

ومن خلال النقاط السابقة يمكن أن يصاغ التعريف الإجرائي لأطفال الشوارع متضمنا العناصر التالية:

أ– الطفل الذي يواجه عوامل ذاتية وأسرية تدفعه للشارع بعض الوقت أو كل الوقت، أو يصبح الشارع هو الكيان الذي يرتبط به.

ب– الطفل الذي يعاني من نقص إشباع حاجاته الأساسية في الحياة كالمأكل، والكساء نتيجة فقدانه الرعاية الأسرية وعدم توفر مصادر الرعاية اللازمة له.

ت– الطفل الذي يجد الجاذبية فيما يتوفر بالشارع من حرية، وعلاقات مع الآخرين للحصول على ما يرغبه بأية وسيلة ممكنة.

ث- الطفل الذي ارتبط بالأسرة التي تعاني من الفقر، أو الجهل، أو المرض أو التفكك الأسري مما جعله يتجه إلى مصادر أخرى لإشباع احتياجاته من خلال التفاعل مع الشارع، والقيام بسلوكيات شخصية قد تحقق له ما يريد مثل ممارسة الجنس، إدمان المخدرات، ارتكاب السرقة وغيرها(نصيف فهمي، 2009، ص13).

إن مرحلة الطفولة هي المرحلة التي يتوقع أن تتشكل فيها العادات، وتنمو الميول والاستعدادات، وتتفتح القدرات وتكتسب المهارات، وتتمثل التقاليد والأنماط السلوكية تبعا لما توفره للطفل البيئة المحيطة به بعناصرها التربوية والثقافية والصحية والاجتماعية، وفي الإطار الذي رسمت حدوده ومداه وما منحته الوراثة من قدرات واستعدادات.

إن البيئة غير المواتية التي تفتقر إلى المقومات الأساسية للنمو الشامل المتكامل للطفل يمكن أن تشوه الرسالة الوراثية المحددة سلفا، فالذكاء والعبقرية ليسا قاصرين على شعب أو جنس معين، ولكن المدى الذي يمكن أن يصل إليه وينميه ويوجهه الوجهة الخلاقة المبدعة القادرة على المبادأة والابتكار والإنتاج يتوقف على مدى فاعلية البيئة التي يعيش فيها الطفل.

وعند الحديث عن البيئة التي ينشأ فيها الطفل فإننا نقصد كافة العناصر التي تسهم في تنشئة الطفل بما توفره من إشباع لاحتياجاته الأساسية من تغذية سليمة، ورعاية صحية وقائية وعلاجية متكاملة، كما تكفل إشباع حاجاته النفسية من الحب والعطف والحنان والانتماء والتقدير والنجاح والأمن والسلامة، وتوفير الجو الصحي النفسي اللازم لتشرب القيم الروحية، وغرس المبادئ البناءة واستيعاب تعاليم الدين والسلوك السوي واكتساب المهارات الأكاديمية والمعرفة العلمية والمواطنة، والحساسية الاجتماعية والمبادأة والإبداع(سوسن شاكر، مجيد، 2008، ص13).

إن الأسرة هي اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي، وهي الأساس الذي يقوم عليه هذا البناء، كما أنها الركيزة الأولى للمجتمع من خلال الدور الكبير الذي تقوم به في تربيتهم، وإنه نظرا لتشابك عدة ظروف يلاحظ الفرد تمزقا للعلاقات الأسرية في الفترة الأخيرة وغياب للتكاتف والتعاون الذي كنا نشهده قديما في الأسر العربية خاصة.

إن هذا التمزق في العلاقات الأسرية قد يكون نتيجة وفاة أحد الوالدين أو كليهما، أو نتيجة انفصام بسبب طلاق أو بسبب الهجر والإيلاء أو استحكام الخلاف بين الزوجين. وفي جميع

الحالات فالظروف المعيشية تتحول غالبا إلى جحيم تذوب فيه علاقات المودة والتعاطف والتكامل والاستقرار التي من أجلها شرع الزواج، وبالتالي فحياة الطفل التي ميزتها الطبيعية البراءة والصفاء تتحول إلى عذاب وحرمان من أبسط الحقوق لتنتهي رحلته هذه عادة إلى أزمات نفسية واجتماعية.

فمعلوم أن نسب الطلاق والانفصال والخلافات آخذة في التفاقم في المجتمعات الإسلامية نظرا للتحولات الاجتماعية والاقتصادية وما يرافقها من صراع بين الثقافات، صراع يزداد حدة في الزيجات المختلطة. والطفل في الماضي كان يجد السند والدعم لدى أفراد أسرته ولدى المحسنين في المجتمع، أما مع تعقد الحياة الاجتماعية وضنك العيش، وتغلب الحياة المادية على الحياة الروحية أضحى الطفل الممزق عائليا لا يجد له من ملاذ سوى الشارع يحتضنه، ويتكفل به ليتعلم في ثناياه كل السلوكيات الخطيرة والمهددة لطفولته البريئة ولمستقبله، والمهددة للمجتمع عندما ينتقل الطفل من براءة الطفولة إلى الجنوح والتشرد(سوسن شاكر، مجيد، 2008، ص ص 34-35).

إن أطفال الشارع هم أطفال بلا مورد كريم للعيش، فالشارع هو مجال تواجدهم طوال الأربع والعشرين ساعة، يصارعون فيه للبقاء بسواعدهم الهزيلة، وأجسادهم التي أنهكها الجوع والمرض، فيحاول هؤلاء تعويض ما فقدوه من أسرة ومأوى ومورد للحياة بأساليبهم الخاصة، فيتعرضون فيه للكثير من المخاطر التي قد تصل ببعضهم إلى حد الموت(أحمد محمد موسى، 2009، ص59)، وعموما يمكن اختصار أهم العوامل التي تؤدي بالطفل إلى النزول إلى الشارع في النقاط التالية:

1- الطفل بمشكلاته وخصائصه التي يتميز بها.

2- الأسرة وما تعانيه من فقر أو جهل أو مرض مع عدم الاهتمام بأطفالها ورغباتهم، وبالتالي يتجهون للشارع، بالإضافة إلى التفكك الأسري الذي قد تعاني منه بعض الأسر في المجتمع.

3- المجتمع وما يتميز به من خصائص ديموغرافية واجتماعية واقتصادية قد يكون لها الأثر الواضح في حدوث ظاهرة الأطفال بلا مأوى(نصيف فهمي، 2009، ص57).

ثانيا_ مراحل اعتماد الطفل على حياة الشارع: تشير العديد من الدراسات أن الأطفال يمرون بمجموعة من المراحل الرئيسية حتى يتحولوا إلى الاعتماد الكلي على حياة الشارع وهذه المراحل هي:

1- **مرحلة التعرف على الحياة بالشارع والانفصال عن الأسرة**: في هذه المرحلة تكون هنالك ظروف مختلفة تهيئ الطفل أو الطفلة للنزول إلى الشارع والتعرف عليه بحذر قد يصاحبه شيء من الخوف من مجتمع الشارع باعتباره نوع مختلف من الحياة، ومن التخوف من عدم القدرة على التكيف مع واقع الحياة بالشارع، مما يستدعي توطيد علاقاته بأفراد من هذا المجتمع الجديد ليساعدونه على التعلم والتكيف مع واقع الحياة بالشارع، ومعرفة مميزاته.

2- **مرحلة التنقل بين الأسرة والشارع:** وهي تعد مرحلة يتأرجح فيها الطفل ما بين الإقامة بالشارع والبقاء مع الأسرة، ويحاول من جانبه الموازنة بين الاثنين معتمدا على عناصر الجذب المتاحة في كل منهما وتتميز هذه المرحلة بالهروب المتكرر من الأسرة، والتعرض لأزمة الهوية بمعنى الإحساس بالانتماء الكلي من جانب الفرد لجماعة معينة.

3- **مرحلة التحول إلى الشارع**: وتتميز هذه المرحلة باكتساب الطفل معايير وقيم ومهارات جماعة أطفال الشوارع بالقدر الذي تمكنه من التأقلم معها، والتعامل مع مشكلاتها المختلفة، والبقاء بعيدا عن الأسرة، وتشكل هذه المرحلة بعضا من عوامل الطرد واللامبالاة من جانب الأسرة، مع وجود عوامل الجذب من جانب الشارع وجماعاته للطفل.

مرحلة الاستقرار بالشارع: وهي مرحلة يتم فيها تأقلم الطفل كليا مع واقع الشارع الأليم ويقبله ويتعايش معه ساعيا إلى إيجاد فرص له للبقاء على قيد الحياة، حيث يكون البقاء للأقوى، فيعيش الأطفال في الشارع بأسلوب حياة الغابات، ويبدأ الطفل في الانضمام لجماعات الشارع وعصاباته للتعايش حيث من الصعب أن يعيش الطفل بالشارع بمفرده، وفي عزلة لفترة طويلة، وذلك لتوفير متطلباته اليومية بأي شكل(محمد عبد الفتاح محمد، 2009، ص ص186- 187).

ثالثا_ المخاطر التي يواجهها أطفال الشوارع: يواجه طفل الشارع عددا من المخاطر كفاتورة تواجده فيه ومن هذه المخاطر نذكر الأكثر انتشارا وترصدا بهم:

1_ التسرب وعدم الالتحاق بالتعليم: مما لا شك فيه أن من أكثر الآثار وضوحا التي تقع على هؤلاء الأطفال باختلاف أنماطهم هي حصرهم في مجال الأمية أو التعليم المنخفض، إذ عادة ما يفتقد هؤلاء الأطفال إلى الرعاية الأسرية المشجعة للاستمرار في التعليم أو الالتحاق به، وعادة ما ينتمون إلى أسر مفككة فقيرة غير سوية، مما يساعدهم على الهروب أو عدم لالتحاق بالمدارس نهائيا، وبذلك نجد أن هؤلاء الأطفال غالبا ما يلجئون للشارع بدلا من التعليم ويحكم عليهم بالحرمان من حقهم الأساسي في التعليم والرقي في المستوى الاجتماعي والاقتصادي على المدى البعيد(أحمد محمد، موسى، 2009، 54).

2- الإساءة الجنسية: لا شك أن الإساءة الجنسية للطفل **Child Sexuel Abuse** هو مفهوم قديم وهو مشكلة اجتماعية موجودة في كل العالم، وتشير التقارير اليومية عبر وسائل الإعلام إلى أن الأطفال ممن هم تحت سن 18 سنة كثيرا ما يتعرضون للإساءة الجنسية، وعلى الرغم من ذلك فإن المجتمع قد فشل في التعرف إليها كمشكلة اجتماعية(طه عبد العظيم حسين، 2008، ص150). وتنتشر الممارسات الجنسية بين أطفال الشوارع أو بينهم وغيرهم من الكبار الذين يسيطرون عليهم، سواء في العمل، أو في أماكن تواجدهم بالبيئة التي يعيشون فيها، وغالبا تنتشر تلك الممارسات بين الذكور في مرحلة المراهقة، وقد لوحظت أيضا أنها بدأت تظهر بين الفتيات عند تواجد الفتيات بين الأطفال بلا مأوى(نصيف، فهمي، 2009، ص67). لقد أفادت العديد من الدراسات العالمية أن الآلاف من الفتيات الصغيرات من فتيات الشوارع في العديد من بلدان العالم يعملن على إشباع رغبات الرجال من سكان البلد نفسه، أو البلدان الأخرى، كما أن بغاء الأطفال الذي يعتمد أساسا على هذه الفئة أصبح منتشرا في البلدان الصناعية، إذ يتوقع أن يكون في الولايات المتحدة وحدها ما لا يقل عن 100.000 طفل متورطين في هذا النوع من الاستغلال، وقد أفادت العديد من البيانات أنه توجد صلات مباشرة عديدة بين الاستغلال الجنسي وأطفال الشوارع، حيث يساعد في هذه تدني ظروفهم الاجتماعية وافتقارهم للرعاية الأسرية التي تجعلهم غير واعين للعديد من المخاطر الصحية بما في ذلك الأمراض النفسية والإصابة بنقص المناعة المكتسب (الإيدز) والأمراض التناسلية وحالات الحمل غير الشرعي، وإدمان المخدرات، إضافة إلى ذلك يصبح هؤلاء الأطفال رهائن لواقع مشوه يسود فيه الضعف، وفقدان الثقة بالآخرين، والإحساس بالعار والنبذ من

قبل المجتمع(أحمد محمد موسى، 2009، ص55). فيتحول هؤلاء الأطفال جراء هذه الظروف بدورهم إلى مجرمين ظنا منهم أنهم يمارسون الانتقام.

3- التدخين: يعد التدخين من السلوكيات المنتشرة وسط أطفال الشوارع، وهو يؤدي إلى أضرار صحية واضحة ومؤثرة في الحالة النفسية، والعصبية والبدنية للمدخن، بل إن التدخين قد يصبح الخطوة الأولى نحو تعاطي المخدرات فيما بعد. وترجع الأسباب الرئيسية إلى قيام الأطفال بلا مأوى بالتدخين إلى ما يلي:

- حب الاستطلاع والرغبة في المغامرة.
- التقليد والمحاكاة لباقي الأطفال فيما يقومون به من سلوكيات ومن بينها التدخين.
- الرغبة في الإحساس بالكيان الإنساني والرجولة رغم صغر سنه.
- عدم معرفة الطفل بالآثار الضارة للتدخين.
- عدم وصول الطفل إلى حالة النضج النفسي والاجتماعي، مما يجعله أكثر تأثرا بكل ما يوجد في البيئة مثل إغراء التدخين.
- توفر النقود التي قد يحصل عليها سواء من التسول أو الحصول عليها بالسرقة أو بأي طريقة أخرى أثناء وجوده في الشارع(نصيف فهمي، 2009، ص ص 63- 64).

4- المخدرات: يعد الإدمان من السلوكيات التي تمثل خطرا كبيرا على حياة الأطفال نتيجة ارتباط السلوكيات وممارستها بالآثار الضارة التي يمكن أن تتضح أشكالها سواء البدنية، أو النفسية، أو الصحية بعد فترة زمنية معينة. ومن أهم أعراض الإدمان لدى الأطفال بلا مأوى نجد ما يلي:

- إتباع السلوك العدواني والعنف بشكل واضح ومستمر طوال المراحل الزمنية التي يمر بها الطفل.
- عدم التركيز في التفكير أو اتخاذ القرارات المناسبة للموضوعات والمواقف التي تواجه الطفل.
- النشاط الزائد الذي يوضح زيادة الطاقة بطريقة مفاجئة.
- احمرار العينين والتدميع.
- الإسهال المتكرر.

- العرق الغزير.
- العلاقات مع الأقران الذين يرغبون في الإدمان.
- الشعور بالإجهاد عند اختفاء آثار المخدرات والرغبة في المزيد من استخدام المادة المخدرة(نصيف فهمي، 2009، ص ص 66- 67).

هذا ولا تقف أزمة المخدرات عند أثارها المباشرة على المدمنين وأسرهم، وإنما تمتد تداعياتها إلى المجتمعات والدول، فهي تكلف الحكومات أكثر من مائة وعشرين مليار دولار، وترتبط بها جرائم كثيرة(محمد صالح ربيع العجيلي، 2014، ص ص185).

5- مخاطر استغلال العصابات: من أكثر المخاطر التي تمثل خطورة بالغة على هؤلاء الأطفال بوجه خاص، والمجتمع بأسره بوجه عام هو استقطاب المجموعات الإجرامية المنظمة والإرهابية لهم، إذ تتخذ هذه المجموعات من هؤلاء الصغار أدوات سهلة ورخيصة للأنشطة غير المشروعة سواء باستخدامهم كأدوات مساعدة في الترويج والتوزيع للممنوعات، أو الاضطرابات والعنف، أو استغلالهم في الأعمال المتصلة بالدعارة(أحمد محمد موسى، 2009، ص58).

6- الإصابة بالأمراض: ينتشر بين أطفال الشوارع جميع الأمراض الجلدية وأمراض سوء التغذية نتيجة وجودهم بالشارع بصفة مستمرة مع عدم وجود وسيلة للحصول على حقوقهم الصحية كأي أطفال طبيعيين، كذلك عدم معرفتهم بالعادات الصحية السليمة، وأكلهم فضلات الطعام(ناصر علام،2009، ص 14).

7- مخاطر الطريق: يتعرض هؤلاء الأطفال للعديد من مخاطر الطرق حيث أنهم يسافرون على أسطح القطارات للتهرب من دفع ثمن التذكرة مما يعرضهم للسقوط من فوقه، كما يتعرضون لحوادث السيارات لجريهم المستمر في الشارع سواء من أجل الشحاذة، أو بيع سلع تافهة(أحمد محمد موسى، 2009، ص56). ومن أكثر الأخطار الصحية انتشارا وسط أطفال الشوارع نجد ما يلي:

- **الجرب:** وهو يصيب معظم الأطفال بلا مأوى لعدم استحمامهم وتواجدهم في أماكن قذرة بها العديد من المواد الملوثة وهو عبارة عن بقع بيضاء تنتشر بكل أنحاء الجسم.

- **التيفود**: ويحدث نتيجة تناول خضروات غير نظيفة يجمعها الأطفال من القمامة، أو تناول وجبة طعام تجمع عليها الذباب أو الأتربة.
- **الملاريا:** ويصاب بها الأطفال نتيجة تعرضهم لكميات كبيرة من الناموس الحامل لفيروس الملاريا أثناء نومهم في الحدائق العامة ليلا، أو في أماكن غير مناسبة دون أغطية تحميهم.
- **البلهارسيا:** ويتعرض لها هؤلاء الأطفال نتيجة تجمعهم سويا ونزولهم للاستحمام.
- **السعال المستمر وتعب الصدر:** وذلك نتيجة لتعرضهم المستمر لعوادم السيارات بالإضافة لتدخينهم أعقاب السجائر الملقاة على الأرض، وعدم توفر ملبس وأغطية كافية أثناء البرد.
- **تقيحات الجروح:** كثيرا ما يتعرض الأطفال بلا مأوى إلى الإصابة بالجروح ونتيجة لإهمالها تحدث العديد من التقيحات التي تؤدي إلى الخراريج والتهاب الجلد، وأحيانا إلى الإصابة بمرض التيتانوس الذي يؤدي إلى هلاك الطفل، وتزداد نتيجة لكثرة قفز هؤلاء الأطفال من فوق الأماكن المرتفعة، والأسوار من أجل السرقة أو الهروب من الذين يطاردونهم(أحمد محمد موسى، 2009، ص ص56-57).

رابعا- أطفال الشوارع من البراءة إلى الإجرام: إن تزايد انتشار ظاهرة أطفال الشوارع يمثل خطرا محدقا بالمجتمع قد يسبب كوارث صحية ونفسية واجتماعية، وهذه الظاهرة أخطر من ظاهرة عمالة الأطفال لأن العاملين يقومون بدور إيجابي ولو كان ضئيلا، أما الطفل المشرد بلا عمل وبلا رقابة أسرية فليس إلا مشروع مجرم(ناصر علام، 2009، ص 59).

إن ظاهرة أطفال الشوارع على درجة عالية من الخطورة من منطلق أنها مشكلة شاملة، أي أنها تحتوي بداخلها العديد من المشكلات، أو يواكبها وينتج عنها مشكلات أشد خطورة كالإدمان، أو تسويق المخدرات، السرقة، والتشرد...وبذلك فإن طفل الشارع يعتبر بمثابة قنبلة موقوتة، ويعتبر مرور الوقت دون تناولها بالعلاج أو الأخذ بالتدابير الوقائية منها بمثابة الإسراع نحو الوصول إلى نتائج مدمرة(نصيف فهمي، 2009، ص124). لذلك فإن موضوع أطفال الشوارع لا بد أن يوضع في إطار سسيولوجية الأمن القومي، لأنه في نهاية

المطاف إذا اتسعت الظاهرة دخلت الدائرة الخطيرة لإمكانيات العنف الاجتماعي من خلال هذه القنبلة الموقوتة(ناصر علام، 2009، ص ص11- 12).

للأسباب السابق الإشارة إليها تعد عملية التدخل بالمساندة الاجتماعية ضرورة وحتمية للتكفل بهؤلاء الأطفال لأن الروابط الاجتماعية والعلاقات مع الآخرين عدت منذ أمد بعيد من المظاهر الحياتية التي تبعث على تحقيق الرضا الانفعالي، كما أنها يمكن أن تخفف الضغط وتساعد الفرد على التعامل مع الأحداث الضاغطة(شيلي تايلور، 2008، ص444). لا بد أن نضع في اعتبارنا أن طفل الشارع فرد له شخصية مميزة له، كما له عقلية وسمات نفسية مزاجية بجانب ما لديه من قيم ومعايير ومعتقدات وميول واتجاهات هي محصلة تنشئة اجتماعية خاطئة فرضها الواقع الاجتماعي بكل الظروف والمتغيرات على هؤلاء الأطفال(محمد عبد الفتاح محمد،**2009**، ص197).

إن طفل الشارع في النهاية طفل من المجتمع له حقوق كباقي الأطفال، وبالتالي لا بد أن نساعد الأطفال على الحصول على الخدمات المختلفة مثل الخدمات الصحية، والخدمات التعليمية، وخدمات شغل وقت الفراغ، ويمكن أن يتم ذلك من خلال المؤسسات التي تهتم بدراسة مشكلة رعاية الأطفال من كافة الجوانب، وهذا ما يؤكد اهتمام المجتمع بكافة هيئاته ومؤسساته المختلفة(نصيف فهمي، 2009، ص165).

إن الطفولة هي أحد ميادين ممارسة الخدمة الاجتماعية التي تهتم بتوفير الخدمات التي من شأنها أن تقدم الحلول المناسبة لمشاكل الأطفال الذين لم تتح لهم فرصة إشباع حاجاتهم الاجتماعية بالقدر المناسب داخل كل من الأسرة والمجتمع، وتتطلب ممارسة الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الطفولة وجود الأخصائي الاجتماعي المتمرس على التعامل السليم مع كل من الطفل وأسرته، ويتوقف هذا التعامل المهني إلى حد كبير على العلاقة المهنية بين الأخصائي الاجتماعي والطفل، وبين الأخصائي وأسرة الطفل، والتي تعرف بالعلاقة المهنية التأثيرية لتوجيه وتوظيف طاقات الطفل نحو تحقيق أهداف مستقبلية فضلا عن دوره في مساعدة الطفل على الاستفادة من كافة الخدمات المتخصصة له والمتوفرة بالمجتمع، وذلك في إطار فهم كل من الأخصائي الاجتماعي والوالدين لاحتياجات الأطفال ومشاكلهم ومراحل نموهم وخصائصها. والخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الأطفال تسعى إلى تحقيق مجموعة الأهداف التالية:

1- أهداف وقائية: تسعى الخدمة الاجتماعية إلى وقاية الأطفال من التعرض للمشكلات النفسية والاجتماعية باستخدام العمليات التوجيهية والإرشادية مع الإقناع وإثارة الوعي مع الكبار المحيطين بالطفل لفهم احتياجات ومتطلبات مراحل النمو المختلفة التي يمر بها، وكيفية توفير أنسب الوسائل التي تساعد على تحقيق النمو بدون مشاكل أو صعوبات، فضلا عن السعي لاكتشاف الحالات المعرضة للاضطراب والانحراف والمبادرة لعلاجها تفاديا لحدوث مشكلة فعلية.

2- أهداف علاجية: وذلك بمواجهة المشاكل التي يعاني منها الطفل سواء أكانت مشاكل نفسية أو صحية أو اجتماعية مما يشكل عقبة في تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية ويعوق النمو السليم.

3- وهي تستهدف الوصول بالطفل إلى أقصى درجات النمو الجسمي والنفسي والعقلي، وإكسابه قيم المواطن السليم، واستثمار قدراته وطاقاته بما يحقق عائدا على الطفل نفسه، وأسرته ومجتمعه، وذلك من خلال المساهمة في رسم السياسة الاجتماعية الخاصة برعاية الطفولة، والمساهمة في وضع خطط الخدمات المقدمة للأطفال، وتحديد أولويات هذه الخدمات، مع محاولة تغطية أكبر عدد ممكن من هؤلاء الأطفال بهذه الخدمات(محمد عبد الفتاح محمد، 2009، ص ص 157- 158).

خاتمه:

من خلال ما تم التطرق إليه سابقا يتضح لنا أن ظاهرة نزوح الأطفال إلى الشارع إنما تحدث بتداخل عدد كبير من العوامل، غير أننا نرى أن أكثر العوامل دفعا لحدوثها هي مسألة التفكك الأسري التي تغيب عنها عملية التنشئة الاجتماعية السليمة والتي بإمكانها أن تكسب الطفل نسق قيمي صحيح يحميه من الدخول في ظلمات الانحراف ويبقيه على الطريق السليم، كما أنها تجبره على السباحة عكس التيار في مواجهة ظروف عائلته الصعبة التي تحرمه حقه في العيش الكريم، وتؤدي به إلى الانزلاق إلى هاوية الجريمة.

إن الأطفال هم أجمل ما فيه الحياة وإن حقهم في عيش حياة كريمة يكفله لهم الشرع والقانون، لذا يكون وجوبا على الأسر التجنّد لمواجهة كل التحديات التي من شأنها أن تفقد

هؤلاء الأطفال براءتهم وتجعلهم يدفعون ضريبة تحولات أسرية واقتصادية واجتماعية لم يكن لهم يد فيها.

الهوامش:

1- ناصر، علام، أطفال الشوارع قنبلة قيد الانفجار، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة_ مصر، طبعة 1، سنة 2009.

2- أحمد محمد، موسى، أطفال الشوارع المشكلة وطرق العلاج، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، مصر، طبعة 1، سنة 2009.

3- نصيف، فهمي، أطفالنا في خطر (أطفال الشوارع، عمالة الأطفال، الأطفال المعاقون)، المكتب الجامعي الحديث، مصر، دون طبعة، سنة 2009.

4- عبد المنعم، الميلادي، أطفال الشوارع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية_ مصر، دون طبعة، سنة 2010.

5- سوسن شاكر، مجيد، العنف والطفولة: دراسات نفسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان_ الأردن، طبعة 1، سنة 2008.

6- محمد عبد الفتاح، محمد، ظواهر ومشكلات الأسرة والطفولة المعاصرة من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الأزارطة_ مصر، دون طبعة، سنة 2009.

7- طه عبد العظيم، حسين، إساءة معاملة الأطفال النظرية والعلاج، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان_ الأردن، طبعة 1، سنة 2008.

8- محمد صالح ربيع، العجيلي، مثلث الرعب العالمي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان_ الأردن، طبعة 1، سنة 2014.

9- شيلي، تايلور، علم النفس الصحي، ترجمة: وسام درويش وآخرون، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان_ الأردن، طبعة 1، سنة 2008.